

«على قبوركم» رواية ضد العنصرية والعنصرية المضادة

الفرنسي بورييس فيان يكشف من خلال حكاية شقيقين حقيقة العنصرية



العنصرية توجع العنف



العنصرية داء قديم متجدد

ويتعامل بطريقة فظيعة تعبر عن مقدار الغضب الذي يختزنه في داخله عليها، وعلى ممارسات عدد من سكانها ضد الزوج، ليصبح بدوره ضحية أفعاله وممارساته، ويثبت بؤس مناهضة العنصرية بعنصرية مماثلة..

يرمز فيان إلى أن العنصرية المضادة ليست طريقة مجدية لمواجهة العنصرية المتفشية لدى فئات من الناس، وأن الأمر يحتاج لوعي ومسؤولية وتفهم وتدريب من أجل تفادي الإشكالات الواقعية والتاريخية التي يقع فيها الناس نتيجة الجهل بالأخريين، وجراء تهويل المخاطر المحتملة من قبلهم.

بصفته مدير مكتبة إلى أحد أصدقاء توم، وكانت تلك هي الحقيقة الوحيدة التي نكرها لها.

هناك رغبة في الانتقام لدى عرق ما يزال معاقبا ومرعوبا، بوصفه نوعا من التفرغيم في مواجهة هيمنة البيض

يصف كيف يتحول القاتل إلى قتييل، وبعد فشله بإحدى الفتيات بطريقة وحشية، يعادي بلدة بأكملها،

على توقيع شيك لتمويل رحلة عودته. يحكي كذلك أنه اختلق الكثير من الأكاذيب حول أخيه توم، وحول الصبي، وظروف موته في حادث، قائلا إن الزوج هم سبب موته، ووصفهم بأنهم خبيثون ولا يصلحون لشيء سوى العمل كخدم، لتجيبه عن أن فكرة الاقتراب من أولئك الملونين تجعلها مريضة..

يخبرها أيضا أنه عندما عاد إلى موطنه، اكتشف أن منزل العائلة قد بيع، وتوم رحل إلى نيويورك، وأن الصبي مات ودفن في عمق ستة أقدام تحت الأرض، وبسبب ذلك قرر أن يبحث عن عمل، وأضاف أنه مدين بوظيفته الحالية

داخل إحدى غرف المنزل المظلمة، وأنه ان يرى ظهره العريض منحنيًا، على ذلك النحو، وهو يضع رأسه بين يديه، وشعر بدماء الغضب السوداء؛ تلك الدماء السوداء الأصلية الصافية، تجري داخل عروقه وتغلي داخل أذنه، ويتالم لأنهم جلدوه، ويعترف بأنه يريد أن يحرق المنزل الذي بناه والدهما الذي يدينان له بكل شيء.

لعنة الاقتراب

يصرح كذلك بأنه صحيح أن بشرته تكاد تكون بيضاء، ولكنه تذكر أنه لم يفكر يوما في التكر لعرقه، ومات شقيقهما ولا يجب أن يمتلك أحد المنزل الذي بناه والدهما بيديه الزنجيين. يختلق الراوي الحكايات، يخبر صديقة عنصرية في داخلها أنه ولد في مكان ما من نواحي كاليفورنيا، وأن لأبيه أصولا سويدية، وهو ما يفسر لون شعره الأشقر، يحدثها عن طفولته القاسية بسبب الفقر المدقع لوالده، ما دفعه في سن التاسعة إلى العمل كعازف غيتار، كي يحصل لقمة عيشه، ليجالته الحظ بعدها ويلتقي بشخص اهتم لأمره وحمله معه إلى أوروبا، وهناك قضى عشرة أعوام.

يحكي أنه اختلق كل تلك القصص التي حدث صديقه بها، رغم أنه قضى حقا عشرة أعوام في أوروبا، ولكن في ظروف أخرى، وكل ما اكتسبه من معرفة يدِين به إلى نفسه وإلى مكتبة الرجل الذي اشتغل عنده خادما، ولم يحدثها عن معاملة ذلك الرجل له، وهو الذي كان يعرف أنه زنجي، ولا عمًا يفعله به عندما يأتي أصدقاؤه لزيارته ولا حتى عن الطريقة التي غادره بها، بعد أن أرغمه

ما زالت العنصرية ضد السود تؤرق المجتمعات وخاصة المجتمع الأمريكي، الذي يعرف بين حين وآخر موجات احتجاج قوية ضد الممارسات العنصرية التي تنتهجها السلط أو المواطنون البيض. ومن هذه الأجواء اقتبس الروائي الفرنسي بورييس فيان روايته «على قبوركم»، التي تعالج قضية العنصرية والعنصرية المضادة من خلال حكاية شقيقين.

يصف متن الرواية بأنه يجب أن يعرف بوصفه أحد مظاهر الرغبة في الانتقام الموجودة لدى عرق ما يزال معاقبا ومرعوبا، ثم بوصفه نوعا من التفرغيم في مواجهة هيمنة البيض الذين يزعمون تفوقهم المفترض ويتباهون به.. يتأسف أن أميركا التي تصف نفسها بأنها بلد الأحلام، هي أيضا البلد المفضل للتطهريين ومدمني الكحول والأشخاص الذين تعودوا على التفرغيم والحذر من الأفكار المناهضة لثقافتهم، وبخاصة في قضية السود في تلك الحقبة التاريخية، وبلغت إلى أنهم وإن كانوا في فرنسا يسعون جاهدين إلى أن يكونوا خلاقين أكثر ممن يتواجدون على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، فذلك لأنهم لن يشعروا بالقلق عندما يستغلون بصفاعة وصفة أدبية أثبتت نجاعتها، ويعترف أن روايته ليست سوى طريقة جيدة من بين طرق أخرى، يسعى المرء من خلالها إلى بيع كتاباته.

هيثم حسين
كاتب سوري



يحاول الروائي الفرنسي بورييس فيان (باريس 1920 - 1959) التصدي لظاهرة العنصرية بطريقة خاصة في روايته «على قبوركم»، حيث رجل أبيض بجينات ودماء سوداء يتغلغل في مجتمع يرغب بإبقاء الزوج في القفص، ويعمل على إدامة الممارسات العنصرية بأسلوب رواي محبوب.

تبدأ الرواية، الصادرة عن منشورات مسكيلياني، بالحديث عن لقاء بين جان دل هاليون وفيرنون سوليفان سنة 1946 في واحد من الاجتماعات الفرنسية الأمريكية، وبعدها أحضر له سوليفان مخطوطة روايته، وأخبره بأنه يرى نفسه رجلا أسود اللون أكثر من كونه أبيض على الرغم من تجاوزه ما يمكن أن يوصف بالخط الأحمر في تسميته للأمر بسمياتها.



عالم الضواحي

يشير الراوي إلى أنه كغيره يعلم أن الآلاف من السود كانوا يختفون من سجلات الإحصاء كل عام، وينتقلون إلى المعسكر المقابل، وكان تفضيله للسود قد ألهم سوليفان نوعا من الاحتقار لأولئك الذين يوصفون بالسود الطيبين، والذين تربت البيض على ظهورهم في المؤلفات الأدبية.



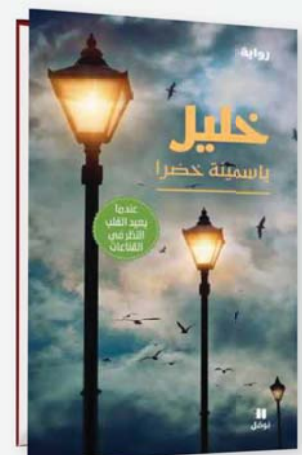
بورييس فيان:

العنصرية المضادة ليست طريقة مجدية لمواجهة العنصرية المتفشية لدى فئات من الناس، فالأمر يحتاج إلى وعي ومسؤولية

وكان يرى أن يوسع المرء أن يتخيل سودا أشداء مثل البيض أو حتى يقابلهم، وهو ما حاول إبرازه في روايته القصيرة التي اشترى جان دل هاليون حقوق نشرها كاملة حين سمع عنها من أحد أصدقائه.

إرهابي عربي

في روايته الصادرة أخيرا في ترجمة عربية بعنوان «خليل»، أعاد الروائي الجزائري ياسمين خضرا تسليط الضوء على إحدى العمليات الإرهابية التي هزت العاصمة الفرنسية باريس، والتي قادها شاب مغربي يدعى «خليل»، وأعطى من خلالها قراءة عن الخلفيات الفكرية للانتحاري، والدوافع التي قادته للقيام بعملية إرهابية على الأراضي الفرنسية. شخصية الرواية المحورية كانت «خليل»، ذا الأصول المغربية والمولود في منطقة «مولينك» ببلجيكا، من عائلة استقرت فيها قادمة من منطقة الريف المغربي. ياسمين خضرة المعروفة باهتمامها بالحركات الإرهابية المتطرفة، ركز في روايته على الأوساط الاجتماعية والتأثيرات الأيديولوجية التي تقف وراء فكر وفعل تلك الحركات الإرهابية، وكانت شخصية خليل مدخلا للغوص فيها وفضحها، وإبراز عدم قدرة الكثير من المهاجرين العرب على الاندماج بشكل جيد في المجتمعات الغربية، حتى أن بعضهم يختار طريق التطرف.

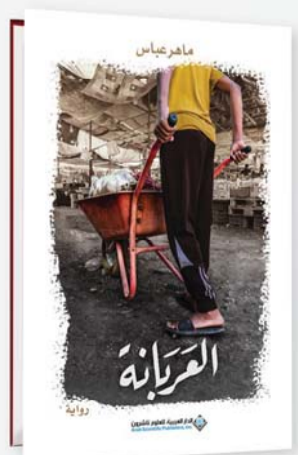


رجل صغير

«الغربانة» رواية جديدة للكاتب البحريني ماهر عباس، يتتبع فيها سيرة طفل حوَّله ظروف الحياة إلى رجل. تكذب الفقر، والم البتم، فدخل السوق وعالمه يافعا يجر عربته، وسريعا قرر أن يصير رجلا (رجلا صغيرا). واجه الحياة بنشاعة تفوق عمره وزمنه، تنقل بين عمل وآخر، وبين دولة وأخرى، أمن بنفسه فنجح.

لكن ما أعطته الحياة له بيد أخذته منه بأخرى. البداية الزمانية للرواية، الصادرة عن الدار العربية للعلوم ناشرون، كانت في ثمانينات القرن العشرين في قرية السنابس البحرينية، والنهاية النصية الزمنية تكون مع انتهاء رحلة بطله وعودته من الخارج إليها بعد ما يقارب الأربعة عقود من الزمن.

وبين البداية والنهاية أحداث ووقائع يتداخل فيها العام بالخاص، والداخل بالخارج، فتحضر حرب الخليج وتدابيرها، مثلما تحضر قضية تعنيف المرأة ومالاتها، ومثلها قضية عمالة الأطفال.



معلقات شعرية مغربية

بعنوان «المعلقات الشعرية في العصر السعدي» أصدر الكاتب المغربي السيد الديوش كتابه الجديد بعد «يوميات معلم في الأرياف» و«الصورة الفنية في شعر النقوش بقصور الحمراء». ويسلط الكتاب، الصادر عن دار القرويين بالمغرب، الضوء على ظاهرة جمالية فريدة، ولون شعري متميز، له ارتباط وثيق بفن العمارة الإسلامية، ويستمد مقوماته الإبداعية من تداخل عدد من الفنون: فن الخط، فن الشعر وفن النقش، أو شعر النقوش، أو المعلقات، وهي القصائد الشعرية المعلقة على جدران وقباب وأبواب وناقورات القصور الملكية السعدية، خصوصا قصر البديع بمراكش. ويقول الكاتب «لقد كان للاتصال العميق بين العودين (الأندلس والمغرب) تأثير كبير على المغاربة من حيث افتتاحهم بظاهرة النقش الشعري، التي أضحت منذ العصر المريني ملحقا جماليا بديعا يبرز مدى حضور الفن الغرناطي وانصهاره في نسج جغرافي مغربي خاص.

